

أحاديث "الحبة السوداء شفاء من كل داء"

دراسة في مشكل الحديث

د. محمد عودة علي ربابعة*

اعتمد للنشر في ٣٠/٧/١٤٣٥هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سلم البحث في ٦/٦/١٤٣٥هـ

ملخص البحث:

من المتفق عليه بين العلماء أنَّ ما تلفظ به النَّبي ﷺ ووصلنا بطريق صحيح لا يمكن أن يتعارض لفظه مع قواعد اللغة العربية وأصولها، ولا في دلالة معناه مع نص من القرآن الكريم أو نص آخر من السنة النبوية، أو مع الحقائق، أو الواقع، أو العقل السليم، أو الحس. لكن قد يظهر من اللفظ أحيانا ما ظاهره ذلك التعارض فيشكل على البعض فيوجه الطعن إلى الحديث النبوي الصحيح بحجة المخالفة، ومن أمثلة ذلك الأحاديث الصحيحة الواردة في الحبة السوداء في أنها شفاء من كل داء إلا السَّام -الموت- معللا ذلك بالواقع الطبِّي المعاصر والقديم في وجود أمراض عجز العلم قديما وحديثا عن اكتشاف دواء لها كالإيدز -مثلا- وبعض أنواع أمراض السرطان. فجاء هذا البحث ليبين مدى التعارض والإشكال الواردين على لفظ الأحاديث النبوية الواردة في هذا الموضوع من خلال جمع أقوال العلماء السابقين واللاحقين وتصنيف الأقوال ومناقشتها والترجيح بينها، كما أبرز البحث الواقع الطبِّي للحبة السوداء قديما وحديثا، كما وجَّه البحث المعنى وأزال الإشكال عن دلالة الأحاديث من خلال اللغة العربية وقواعدها، كما قدم البحث مناقشات وتوجيهات في عموم دلالات الأحاديث الواردة مبنية على العقل والواقع الطبِّي ليخلص بنتيجة هي: إنَّ الأحاديث الواردة في الحبة السوداء على عمومها ولا إشكال في دلالة ألفاظها، موصيا بزيادة العناية بأحاديث الطَّبِّ النبوي من قبل ذوي الاختصاص لاكتشاف الأسرار النبوية والمعجزات الطَّبِّية فيها.

Abstract

It is agreed upon among scholars that what was uttered by Prophet Muhammad (Pbuh) and was passed on to us in its correct forms, cannot be in contradiction with the rules and aspects of Arabic language, the denotative and connotative meanings of the Quran, the text of Sunnah, facts, reality, reason, and common sense. It may appear, sometimes, from denotation that there is a formalistic contradiction, which becomes problematic to some readers who end up challenging the Prophetic correct

* أستاذ زائر بجامعة الإمارات العربية المتحدة، كلية القانون، قسم الشريعة والدراسات الإسلامية.

hadiths on the pretext of contradiction. One of such cited challenges is related to the correct hadiths about the black seed and its cure from every illness except death. Such a challenge is based on the presence of existing illnesses, past and present like AIDS and some types of cancer, immune to cure due to lack of curing medicinal drugs until today. This research clarifies the extent of contradictory and problematic aspects cited in reference to the Prophetic correct hadith in that regard. The research methodology of this article is based on gathering the former and subsequent opinions of scholars, classifying their opinions, discussing them, and then deliberating them. This article emphasizes the past and current medicinal reality of the black seed, presents the correct meaning, eliminates any problematic aspects in the denotative meanings of hadiths based on the rules and aspects of Arabic language, reviews discussions, and proposes recommendations regarding the denotative meanings of hadiths mentioned herein on the basis of reason and medical reality in order to conclude the following: lack of contradiction in the denotative meaning of the Prophetic hadiths on the black seed; more scholarly attention on the part of specialists is needed regarding the Prophetic medicinal hadiths to discover their inherent Prophetic secrets and medical miracles.

المقدمة:

الحمد لله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وكرّمه بالعقل، به يفقه ويفهم، وأعطاه لساناً وبياناً به يعبر ويتكلّم، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد وعبر، سيّد الخلق محمّد ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم وبه أخبر، وعلى آله الطيبين وأصحابه الكرام ﷺ كما بذلك صرّح القرآن وأظهر. أمّا بعد: فمن المعروف أنّ النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، وأنّ ما حدّث به حقّ وواقع لا محالة، واللفظ النبوي أفصح من تكلم بالعربية فهو ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، وما صحّ عنه ممّا نطق به ﷺ لا يمكن أن يتعارض في لفظه مع قواعد اللغة وأصولها، ولا في دلالة معناه مع الحقائق، أو الواقع، أو العقل السليم، أو الحس، لكن قد يُتوهم من اللفظ النبوي ما ظاهره ذلك لفظاً أو معنى، فأشكّل على البعض فوجّه الطعن للأحاديث النبوية الصحيحة سنداً وممتناً، بحجّة المخالفة الظاهرة، وهو لا يعلم -أو يعلم- أنّ النبي ﷺ قال مخاطباً عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، فيما يتعلق بما يُحدّث به ﷺ في جميع أحواله كلّها: "أكتب فوالذي نفسي بيده لا يخرج منه إلّا حقّاً"، وأشار عليه السلام إلى فيه. ^(١)

ومن الأحاديث النبوية التي أشكّل مدلول لفظها ومعناها على كثير

من الناس ما ورد من أنَّ "الحَبَّةَ السَّوْدَاءَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ" ^(٢) (الموت)، أو ما يقاربه من ألفاظ، بحَبَّةِ الواقع الطَّبِّي المعاصر والقديم في وجود بعض الأمراض التي عجز العلم عن اكتشاف دواءٍ لها، كما لا يمكن البرء منها مثل مرض "الإيدز"، وهو ما يعبر به عن نقص المناعة المكتسبة، وكذلك بعض أنواع السرطان، ممَّا أدى بهم إلى رد الحديث أو الطعن فيه.

من هنا جاء هذا البحث يبيِّن مدى التعارض أو الإشكال الذي يترتب على لفظ هذا الحديث مع ما أثبتته العلم ظاهراً، وكيف يزال هذا الإشكال بناء على اللغة وقواعدها في البيان والبلاغة.

مشكلة البحث وأهداف الدراسة:

تكمن مشكلة البحث في الإشكال الظاهر من دلالة لفظ الحديث الذي يدور حوله البحث في أنَّ الحَبَّةَ السَّوْدَاءَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ، وتعارضه مع الواقع الطَّبِّي، فالحديث يحل مشكلته من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ١- ما هي صيغة الألفاظ التي ورد بها الحديث برواياته المتعددة ؟ وما درجة هذا الحديث من ناحية حديثية صحةً وضعفاً ؟
- ٢- ما هي الحَبَّةُ السَّوْدَاءُ ؟ وما هي مكوناتها وطبيعتها ؟
- ٣- كيف تعامل العلماء مع دلالة ألفاظ الحديث ومعناه، وكيف وجهوا ذلك في شروحهم للحديث ؟
- ٤- ما موقع الحَبَّةِ السَّوْدَاءِ في الطَّبِّ والعلاج والدواء قديماً وحديثاً ؟
- ٥- ما دور اللغة في حل الإشكال لظاهر معنى لفظ الحديث ؟

الدراسات السابقة:

هناك كتب عديدة تناولت أحاديث البحث شرحاً ومناقشةً وتعليقاً سواء منها حديثية ككتب شروح صحيحي البخاري ومسلم والترمذي وغيرها، وكذلك كتب الطَّبِّ النبوي الحديثية والقديمة، كما أنَّ بعض الباحثين كتب بحوثاً عن فوائد الحَبَّةِ السَّوْدَاءِ طبعاً وسيشار إلى هذه المصادر خلال ثنايا البحث.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في جمعه بين الحاضر والماضي فيما يتعلق بالإشكال الوارد في أحاديث الحبة السوداء، فهو يجمع أقوال السابقين من العلماء واللاحقين، كما يُبرزُ الواقع الطبّي المعاصر للحبة السوداء، كما يوجه المعنى من خلال الدلالة اللفظية واللغوية لمفردات الحديث، والواقع الطبّي المعاصر للحبة السوداء من خلال أقوال المتخصصين في هذا المجال، للخروج بنتيجة سلامة اللفظ الحديثي، وزوال الإشكال عنه.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى ما يلي:

المقدمة: وفيها أهمية البحث ومشكلته وأهدافه والدراسات السابقة فيه.

المبحث الأول: حقيقة الحبة السوداء، وما ورد فيها من أحاديث، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأحاديث الواردة في الحبة السوداء.

المطلب الثاني: التعريف بالحبة السوداء.

المبحث الثاني: معنى الأحاديث وتوجيه ألفاظها عند علماء الشريعة ومؤلفي كتب الطب النبوي.

المطلب الأول: الأحاديث الواردة أُريد بها التخصيص.

المطلب الثاني: الأحاديث الواردة على عمومها في المعنى.

المبحث الثالث: رأي الباحث في الإشكال الوارد في الأحاديث، وفيه:

المطلب الأول: معنى كلمة شفاء في اللغة، ودلالة هذا المعنى في حل الإشكال الوارد في الحديث.

المطلب الثاني: الحبة السوداء في الطب القديم، والطب والعلم المعاصرين.

المطلب الثالث: مناقشات وتوجيهات للباحث في عموم الأحاديث.

الخاتمة: وفيها خلاصة البحث ونتائجه.

أدعوا الله عز وجل أن يلهمني الحق والصواب، فإن أصبت فبتوفيق من الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان وأستغفر الله منه، فما من عمل بشير إلا ويعتريه النقص والزلل والخطأ، والمعصوم من عصم الله تعالى.

المبحث الأول

حقيقة الحبة السوداء وما ورد فيها من أحاديث

المطلب الأول، الأحاديث الواردة في الحبة السوداء

ورد عن رسول الله ﷺ في الحبة السوداء عدة أحاديث بألفاظ متقاربة وعن أكثر من صحابي، ومنها:

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السم" ^(١). قال ابن شهاب: والسم الموت، والحبة السوداء: الشونيز. والحديث مروي بعدة روايات بألفاظ متعددة منها: رواية بلفظ: "ما من داء إلا في الحبة السوداء منه شفاء إلا السم" ورواية: "إن في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السم" ^(٢)، وفي رواية بلفظ: "عليكم بهذه الحبة السوداء، فإن فيها شفاء من كل داء إلا السم" ^(٣) والسم الموت. ^(٤)

٢- حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه: عن خالد بن سعد قال: خرجنا ومعنا غالب بن أبجر ^(٥) فمرض في الطريق فقدمنا المدينة وهو مريض فعاده ابن أبي عتيق فقال لنا: عليكم بهذه الحبيبة السوداء فخذوا منها خمساً أو سبعمائة فاسحقوها ثم أقطروها في أنفه بقطرات زيت في هذا الجانب وفي هذا الجانب فإن عائشة حدثتني أنها سمعت النبي ﷺ يقول: "إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السم، قلت: وما السم؟ قال: الموت". ^(٦)

٣- عن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: "الكأمة دواء العين، وإن العجوة من فاكهة الجنة، وإن هذه الحبة السوداء دواء من كل داء إلا الموت" ^(٧).

٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: "عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السم". ^(٨)

وأكتفي بذكر هذه الأحاديث، ونلاحظ أنها جاءت تقريباً بصيغتين:

١- "في الحبة السوداء شفاء... أو "فإن فيها... وهي الأغلب والأكثر.

٢- "إن الحبة السوداء شفاء من كل داء...".

ووردت بعض الروايات المقطوعة منها: رواية قتادة: حدثت عن أبي هريرة

قال: " الشونيز دواء من كل داء إلا السَّام " (١٠)

كما يتبين لنا من خلال هذا المطلب أنَّ الأحاديث الواردة في الحبة السوداء صحيحة، ومروية في صحيح البخاري ومسلم، وألفاظها متقاربة.

المطلب الثاني التعريف بالحبة السوداء

أسمائها: (١١)

الحبة السوداء هي ما يدعوه العامة بـ "حبة البركة"، وقد يكون تسميتها بحبة البركة أو الحبة المباركة تبركاً وتيمناً بما ورد عن رسول الله ﷺ في الحبة السوداء "شفاء من كل داء"، وقيل أنها سميت كذلك نسبة للصحابة الجليّة بركة، وهي أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، ولقد استعملت بركة رضي الله عنها الحبة السوداء لمعالجة بعض الأمراض فسميت باسمها أي "حبة بركة"، ومع مرور الزمن أضيف إلى اسمها "ال تعريف" فأصبحت تنطق بـ "حبة البركة"، وكان الإسم الغالب عليها في أيام رسول الله ﷺ وفي فجر الإسلام "الشونيز"، ولذا فُسرَّت الحبة السوداء بهذا الاسم في الأحاديث، وهو اسمها الفارسي. والحبة السوداء أطلق عليها أسماء عدة باختلاف الزمان والمكان، فهي "الشهينز" و"النييز" و"البشمة" و"الكمون الأسود" أو الهندي، و"القرحة"، واسمها بالفرنسية vnigellacultivee وبالإنجليزية Black Cuminnigeila، واسمها العلمي Nigella Sativa.

نباتها (١٢)

نبات الحبة السوداء نبات عشبي، صغير، سنوي، له ساق يبلغ طوله حوالي نصف ذراع أو أكثر (٤٠ - ٥٠) سم، أوراقه دقيقة التقسيم، وأزهارها بيضاء اللون يشوبها خضرة، ويحتوي نباتها على بذور سوداء ذات شكل هرمي، والبذور لها رائحة، تنبت في بلاد حوض المتوسط برياً أو في الحقول، حبّه خشن الملمس، حريف الطعم، رائحته عطره، وتستعمل بذورها كتوابل، ونباتها أنواع كثيرة منه الحقلي والدمشقي وغيره، والذي يستعمل من النبات هو البذور الجافة.

مكوناتها: (١٣)

تحتوي الحبة السوداء على عناصر غذائية مهمة جداً، فهي غنية بالبروتينات والتي تشكل نسبة ٢١%، كما أنها تحتوي على الدهون بنسبة ٣٥%، والسكريات بنسبة ٣٥%، والمعادن بنسبة ٣.٧%، وأهمها الكالسيوم والحديد، كما تحتوي على الفيتامينات وخاصة B١، كما تحتوي على الرطوبة بنسبة ٥.٥%.

والدهون التي تحتويها بذورها تحتوي على زيت طيار بنسبة ١.٥%، وزيت ثابت بنسبة ٣٣%، والزيت الطياري الذي يحصل عليه بواسطة عملية التقطير يحتوي على مادة النيجلون Nigellon وهي التي يعزى إليها المفعول الطبّي لزيت الحبة السوداء. كما تحتوي على الحديد بنسبة ٦٣١ جزءاً من المليون، والفوسفات بنسبة ١١٢٣.٥٢ جزءاً من المليون على شكل أكاسيد.

ويتضح من ذلك أنها مصدر هام لعنصر الفوسفات الهام لحياة الرجل من الناحية التناسلية. ويمكن تجزئتها إلى ثلاثة أجزاء عند النظر إلى قطاع طولي أو عرضي لها:

- أ- جزء أسود خارجي.
- ب- جزء أبيض وهو لب الحبة السوداء.
- ج- جزء رمادي اللون يقع بين الجزء الخارجي الأسود واللّب الأبيض.

المبحث الثاني

معنى الأحاديث وتوجيه ألفاظها عند علماء الشريعة

ومؤلفي كتب الطب النبوي

إنّ الناظر في كتب الحديث التي تناولت شرح الأحاديث الواردة في الحبة السوداء، والكتب المصنفة في الطبّ النبوي ليجد أقوالاً كثيرة في معنى الأحاديث، وهل هي على عمومها في المعنى، أم يراد بها التخصيص. ومن خلال جمعي لأقوال العلماء استطيع أن أقسمها إلى قسمين في مطلبين:

المطلب الأول: الذين قالوا: الأحاديث أريد بها التخصيص

لقد ورد عن الخطّابي (ت ٣٨٦هـ) قوله: "هذا من العام الذي أريد به الخاص، إذ ليس تجتمع في طبع شيء جميع القوى التي تقابل الطبائع كلها في معالجة الأدواء على اختلافها..."^(١٤)، ثم اختلفوا في وجه التخصيص على أقوال:

أ- مخصّصة بالأكثر أو الأغلب مبالغة. (١٥)

واستدل المباركفوري في التحفة بعد نقله كلام الخطّابي على أنّ هذا من العام الذي يراد به الخاص فقال: "وقال الطيّبي: ونظيره قوله تعالى في حق بلقيس ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾" (١٦) قوله تعالى: ﴿تُدَمَّرُ كُلُّ شَيْءٍ﴾" (١٧) أي قابل للتدمير، وهذا اطلاق العموم وإرادة الخصوص.

وممن نقل عنهم هذا الرأي الذهبي في "الطّب النبوي" وعبد اللطيف البغدادي في "الطّب من الكتاب والسنة"، وأبو الحسن بن طرخان في "الأحكام النبوية في الصناعة الطبية" و ابن القيم في "الطّب النبوي" والدكتور محمد ناظم في "الطّب النبوي والعلم الحديث" (١٨) واستدل هؤلاء على هذا الرأي بآيات قرآنية زيادة على ما ذكره المباركفوري في التحفة عن الطيّبي ومنها:

- قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (١٩) فالمعلوم أنّ الجنة والنار وأرواح الشهداء لا تهلك.

- قوله تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (٢٠) أي كل شيء من شأنه أن يخلق، فقالوا: هذا من باب الأغلب والأكثر فهي -أي الحبة السوداء- شفاء من أغلب وأكثر الأمراض مبالغة.

ب- مخصّصة بمجال نفعها وما تلائم:

أي شفاء للأمراض التي توافق تلك الصفات، واتخذ أسلوب العموم لبيان الأهمية وعظيم النفع، فهي شفاء من كل داء سببه البرد والرطوبة لأنّ طبعها حارّ يابس. وقال بهذا الرأي الخطّابي كما سبق ذكر قوله عن التخصيص في بداية هذا المطلب، فقد أتبع كلامه كما نُقِلَ عنه بقوله: "وإنما أراد به شفاء من كل داء يحدث من الرطوبة والبرودة والبلغم... فهو شفاء للداء القابل له من الرطوبة والبرودة" (٢١) وكما نُقِلَ هذا الرأي عن أبي الحسن بن طرخان كراي ثانٍ له وقال: "في الكلام شيء محذوف تقديره: من كل داء سببه البرد والرطوبة" وكذلك وافق هذا الرأي الدكتور محمد ناظم صاحب كتاب "الطّب النبوي والعلم الحديث"، وكذلك قال ابن البيطار في "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية". (٢٢)

ج- التخصيص بمن وصف له، أو حالته، والأمراض الذي فيه أي "المريض":

فهو شفاء له من كل داء فيه حين الوصفة، لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يصف الدواء بحسب ما يشاهده من حال المريض، فهي شفاء لكل ما فيه من أمراض إلا الموت، وقد ذكر ابن حجر هذا الرأي في فتح الباري عند ذكره لأقوال العلماء، فقال: وقال غيره: كان النَّبِيُّ ﷺ يصف الدواء بحسب ما يشاهده من حال المريض فيكون معنى قوله "شفاء من كل داء" من الجنس الذي وقع فيه أو لكل ما فيه من الأمراض حين الوصفة النَّبَوِيَّةُ إِلَّا الْمَوْتَ^(٢٣)، وقال بهذا التوجيه الدكتور محمد ناظم صاحب كتاب "الطَّبُّ والعلم الحديث" واستشهد بقول الذهبي: "تشرع النبي ﷺ لأصحابه يدخل فيه كل الأمة إِلَّا أَنْ يَخْصَّصَهُ دَلِيلٌ، وتطبيبه لأصحابه وأهل أرضه خاص بطبائهم وأرضهم إِلَّا أَنْ يَدُلَّ دَلِيلٌ عَلَى التَّعْمِيمِ"، وهذا الكلام للذهبي نقله عنه السيوطي في مقدمة كتابه "المنهج السوي والمنهل الروي في الطَّبِّ النَّبَوِي"، وهو مخطوط كما قال صاحب كتاب "الطَّبُّ والعلم الحديث" ..^(٢٤)

المطلب الثاني

الذين قالوا: الأحاديث الواردة على عمومها في المعنى

وذلك لأنَّها من لفظ الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، فكلامه أولى بالقبول من كلام أهل الطَّبِّ والتجربة، لأنَّ مدار علمهم غالباً مبني على الظن، والمعنى في الأحاديث أمر ممكن، وقد أخبر به الصادق المصدوق، واللفظ عام بدليل الاستثناء الذي فيه، فيجب القول به.

- قال ابن بطال (ت ٤٤٩ هـ) في شرحه لصحيح البخاري -بعد أن ذكر حديث أبي هريرة ؓ، وحديث عائشة رضي الله عنها اللذين يدور عليهما موضوع البحث-: "هذا الحديث يدل عمومته على الانتفاع بالحبَّة السوداء في كل داء غير داء الموت كما قال عليه السلام، إِلَّا أَنْ أَمَرَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ بِتَقْطِيرِ الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ بِالزَّيْتِ فِي أَنْفِ الْمَرِيضِ لَا يَدُلُّ أَنَّ هَذَا سَبِيلُ التَّدَاوِي بِهَا فِي كُلِّ مَرَضٍ، فَقَدْ يَكُونُ مِنْهَا مَا يَصْلَحُ لِلْمَرِيضِ بِشَرِبِهَا، وَمِنْهَا مَا يَصْلَحُ بِخَلْطِهَا بِبَعْضِ الْأَدْوِيَةِ فَيَعْمُ الْإِنْتِفَاعُ بِهَا مُنْفَرِدَةً وَمَجْمُوعَةً مَعَ غَيْرِهَا".^(٢٥)

- وقال الكرمانى في شرحه على صحيح البخارى "الكواكب الدراري" -بعد أن ذكر قول الخطّابي السابق في التخصيص-: "يحتمل إرادة العموم منه، بأن يكون شفاء لكل بشرط تركيبه مع الغير ولا محذور فيه، بل يجب إرادة العموم لأنّ جواز الاستثناء معيار جواز العموم. وأمّا وقوع الاستثناء فهو معيار وقوع العموم فهو أمر ممكن، وقد أخبر الصادق عنه، واللفظ عام بدليل الاستثناء فيجب القول به" (٢٦)

- وذكر ابن حجر هذا الرأي في فتح الباري فقال: "ويؤخذ من ذلك أنّ معنى كون الحبة السوداء شفاء من كل داء أنّها لا تستعمل في كل داء صرفاً بل ربما استعملت مفردة أو مركبة أو مسحوقة وغير مسحوقة أو شرباً أو أكلاً" ثم ذكر ابن حجر أقوال العلماء في معنى بعض الألفاظ الحديث وتوجيههم له ومنها قول الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة وهو: "تكلم الناس في هذا الحديث وخصوا عمومهم وردوه إلى قول أهل الطبّ والتجربة، ولا خفاء بغلط قائل ذلك، لأننا إذا صدّقنا أهل الطبّ - ومدار علمهم غالباً إنما هو على التجربة التي بناؤها على ظن غالب- فتصديق من لا ينطق عن الهوى أولى بالقبول من كلامهم" انتهى كلام ابن أبي جمرة، ثم قال ابن حجر: "وقد تقدم توجيه حملته على عمومهم بأن يكون المراد بذلك ما هو أهم من الأفراد والتركيب، ولا محذور في ذلك، ولا خروج عن ظاهر الحديث" (٢٧)

- وقال المباركفوري في التحفة (٢٨) بعد إكماله الشرح تحت عنوان "تنبيه": "أحاديث الباب هل هي محمولة على عمومها أو أريد منها التخصيص؟ فذكر قول الخطّابي الذي سبق ذكره في المطلب الأول من هذا البحث، ثم قال: "وقال الطيبي: ونظيره قوله تعالى في حق بلقيس: ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾" (٢٩) وقوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾" (٣٠) أي قابل للتدمير، وهذا إطلاق العموم وإرادة الخصوص. "ثم قال المباركفوري: وقيل هي باقية على عمومها، وأجيب عن قول الخطّابي: ليس يجمع في طبع شيء.. الخ، بأنّه: ليس من الله بمستكثر أن يجمع العالم في واحد

وأما قول الطيبي ونظيره، ففيه أنّ الآيتين يمنع حملهما على العموم على ما هو عند كل أحد معلوم، وأما الأحاديث في الباب فحملها على العموم متعين لقوله ﷺ فيها "إِلَّا السَّامَ"، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ... ﴿٣١﴾، ثم نقل قول الحافظ ابن حجر في الفتح، ومعه قول ابن أبي جمرة، وتعقيب ابن حجر كاملاً في توجيه الحديث، وحمله على العموم وعدم التخصيص. وذكر هذه الأقوال كذلك صديق حسن القنوجي (٣٢).

قلت: نلاحظ مما سبق أنَّ العلماء سلخوا في إزالة إشكال الحديث مسلكين وذلك كما يلي:

١- الذين قالوا بالتخصيص على الوجوه التي ذكرنا في موضعها من المطلب الأول من هذا المبحث، فهي تدخل ضمن دفع الإشكال والتعارض بطريقة الجمع والتوفيق وهي إحدى طرق رفع الإشكال ودفع التعارض، فهم وفقوا بين الواقع الطبي في وجود أمراض لا دواء لها أو لا تنفع معها الحبة السوداء حسب الاستخدام، وبين لفظ الأحاديث بتخصيص المعنى.

٢- الذين قالوا بعمومية ألفاظ الحديث، وعدم التخصيص، فهم سلخوا سبيل الترجيح فقول النبي ﷺ مقدم على قول أهل الطب والتجربة الذين يقولون بعدم شفاء الحبة السوداء لبعض الأمراض، ورأوا أنَّ قول النبي ﷺ أولى بالقبول لأنه لا ينطق عن الهوى، وأمَّا قول أهل الطب فمبني على الظن الغالب، وهذه الأقوال هي ترجيح لدلالة الحديث على الواقع الطبي.

المبحث الثالث

رأي الباحث في الإشكال الوارد في الأحاديث المطلب الأول، معنى كلمة شفاء في اللغة ودلالة ذلك في حل الإشكال الوارد في الأحاديث

قبل الخوض في كيفية إزالة الإشكال الوارد والتعارض الظاهر بالجمع أو الترجيح، ومناقشة ذلك وتوجيهه، لا بدَّ لنا أن نتعرف على معنى كلمة "شفاء" في اللغة العربية لما في ذلك من أثر في زوال الإشكال أو بقاءه.

وبالرجوع إلى المصادر اللغوية القديمة منها والحديثة، كانت خلاصة الأقوال: إنَّ لكلمة "شفاء" في اللغة معنيين هما:

١- البرء: أي التخلص من المرض، وذلك كما لو أضيف الشفاء إلى الله تعالى، كما

في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾^(٣٣)
 ٢- الدواء: أي بمعنى علاج يمكن أن ينجح، ويمكن أن لا ينجح ولا ينفع.
 وهذا يجب أن نلاحظه في مفردات الأحاديث فلا يشترط في الدواء أن يؤدي دائماً إلى البرء، ولو سُمِّيَ شفاءً لأنَّ الشفاء بإذن الله تعالى. أما كلمة "برء" فهي تستعمل فيما يتحقق فيه نجاح العلاج، وحصول الشفاء، وهذا لم يطلق في الأحاديث مدار البحث.

قال صاحب القاموس^(٣٤): الشفاء الدواء، جمع أشفية، وشفاه يشفيه: برأه وطلب له الشفاء.

وقال صاحب اللسان^(٣٥): شفي: الشفاء: دواء معروف، وهو ما يبرئ من السقم، والجمع أشفية، واستشفى فلان: طلب الشفاء، واستشفيت فلاناً: إذا وهبته شفاءً من الدواء، وأشفى زيدٌ عمراً: إذا وصف له دواءً يكون شفاؤه فيه.

وقال صاحب معجم متن اللغة^(٣٦): الشفاء: البرء من المرض والدواء، وأشفاه: طلب له الشفاء، ووصف له دواءً يكون فيه شفاؤه، ووهب له شفاءً: أي دواء، وشفاه الله من مرضه: برأه، وطلب له الشفاء: أي الدواء، واستشفى المريض من علته: برأ.

وقال صاحب معجم مقاييس اللغة^(٣٧): الشين والفاء والحرف المعتل يدل على الإشراف على الشيء، يقال: أشفى على الشيء: إذ أشرف عليه، وسُمِّيَ الشفاء شفاءً لغلبته للمرض وإشفائه عليه، ويقال: استشفى فلان، إذا طلب الشفاء^(٣٨)
 قلت: بعد معرفة معنى كلمة "شفاء" في اللغة أقول:

- من ناحية اللغة يزول التعارض والإشكال بين المعنى الوارد في الأحاديث، وبين الواقع الطبّي الحديث والقديم، حيث أن كثيراً من العلماء فسروا الأحاديث في السابق والحاضر على أنه عموم يراد به التخصيص، ومهما كان وجه التخصيص الذي خصّصوا به معنى اللفظ فلا يتعارض مع اللغة العربية، فقد يطلق الكل ويراد به الجزء أو البعض، أو الأكثر والأغلب، والأمثلة على ذلك من القرآن والسنة كثيرة، وقد ذكرنا بعضها عند ذكر رأي العلماء في معنى الأحاديث في المطلب الأول من المبحث السابق (التخصيص).^(٣٩)

وسواء كانت كلمة "شفاء" بمعنى دواء وعلاج، أو بمعنى البرء من المرض والتخلص منه، فقد أثبت الطب القديم والحديث من خلال التجارب العلمية والعملية أنَّ الحبة السوداء تدخل كعلاج ودواء في أغلب وأكثر الأمراض بكيفيات واستعمالات كثيرة جداً، كما أنَّها تفيد وتشفى وتنفع في التخلص من كثير من الأمراض بإذن الله تعالى. وهذا يدعونا إلى التعرف على فوائد ومنافع الحبة السوداء عند الأطباء قديماً وحديثاً.

المطلب الثاني

الحبة السوداء في الطب القديم والطب والعلم المعاصرين

أ- **الطب القديم:** بالرجوع إلى الكتب القديمة والحديثة في الطب النبوي وغيرها التي تناولت الحبة السوداء نجدها جميعاً ذكرت أنَّ الأطباء أثبتوا لها فوائد كبيرة وكثيرة جداً، سواء كانت منفردة أو بإضافتها إلى عناصر ومواد أخرى، واستخلص منها الأطباء القدامى والأطباء الشعبيون أنواعاً كثيرة من المواد لعلاج حالات مرضية كثيرة، ومن أشهر الأطباء ابن سينا، وابن البيطار، والشيخ داود الأنطاكي.

والخلاصة من خلال الجمع والتلخيص لما ذكره القدامى من فوائد الحبة السوداء واستعمالاتها، يتبين أنَّها كانت تدخل عندهم في علاج وتطبيب معظم أعضاء جسم الإنسان وتقيه من معظم الأمراض، حتى أصبحت وكأنها دواء وشفاء لكل داء^(٤٠).

ب- **الطب والعلم المعاصر:** اهتمت الدراسات الطبية المعاصرة والحديثة بالحبة السوداء والمواد المستخلصة منها، وأهمها مادة "النيجلون" المستخرجة من زيت الحبة السوداء، وأجريت عليها دراسات وأبحاث علمية وعملية كثيرة، وألخص هنا أهم ما توصل إليه العلم الحديث والطب حسب اطلاعي ومعرفتي:

١- قال الدكتور حامد التكروري^(٤١)، عن الفوائد التي أثبتتها الطب والعلم الحديث للحبة السوداء حسب معرفته: "ثبت أنَّ فيها خصائص علاجية كثيرة من أهمها: أنَّها مضادة للنمو الفطري والبكتيري والديدان حتى بعض الأشكال من النمو السرطاني، وزيتها يوسع الشعب التنفسية، ويفيد في علاج التهابات المزمة الناتجة عن البرد،

ولها ميزات في منع التسوس في الأسنان، وأحدث وأظرف ما فيها أنها تزيد المناعة في الجسم -وتقوية المناعة للأمراض تدخل في شفاء كل الأمراض- كما أنها تقوي الجسم غذائياً، وتعطيه قوة في الوقاية من المرض، كما أن البروتين الذي فيها لا يوجد فيه نقص في الأحماض الأمينية التي تكون ناقصة في المنتجات الأخرى -والبروتين ضروري لبناء الخلايا في الجسم-

٢- أجرى الدكتور محمود عقل المدرس سابقاً في كلية الطب في الجامعة الأردنية تجارب وأبحاث على الحبة السوداء ونشرها في مجلة دراسات، والتي تصدر عن الجامعة الأردنية، كان ملخصها كما يلي: (٤٢)

- في تجربة أجراها الدكتور في ١٤/٤/١٩٩٠م: ثبت أن الزيت الطيار لحبة البركة يثبط تقلصات عضلات الشرايين، ويؤثر على عملية انقباض القصبة الهوائية (علاج الربو).

- في تجربة أخرى أجراها بتاريخ ١٦/٧/١٩٩١م: ثبت أن الزيت الطيار يؤثر على عملية تقلص الأوعية الدموية وبالتالي على عملية انقباضها (علاج ضغط الدم)، كما ثبت أن لهذا الزيت تأثيراً فعالاً في تخفيف آلام الولادة وعسرها والمغص، كما ذكر في أبحاثه أن تجارب أجريت على الزيت المذكور وذلك لأكثر أنواع السكري خطورة فثبت نجاحه.

٣- قدّم الدكتور أحمد القاضي بحثاً في المؤتمر العالمي للطب الإسلامي، والمنعقد في كراتشي، عام ١٩٨٦م، كانت خلاصته: "بعد علمنا بالأحاديث النبوية عن الحبة السوداء، وما ظهر لنا من آثار علاجية متنوعة تعزى لها في القديم، والدراسات الحديثة على الإنسان والحيوان، التي بينت أن لها تأثيراً على الشعب الهوائية وبالتالي في علاج "الربو" وكذلك تأثير مدر للمرارة، ومضاد للجراثيم، ومخفض لضغط الدم، بدأ اهتمامنا بالمادة وما يمكن أن يكون لها من تأثير على جهاز المناعة، فقام الدكتور مع زميله الدكتور أسامة قنديل بإجراء بحوث وتجارب على الحبة السوداء في عيادات أكبر معهد للأبحاث لبرنجيلد، في فلوريدا، في الولايات المتحدة الأمريكية، فكانت النتائج أن لها تأثيراً منشطاً على وظائف المناعة، وخاصة الخلايا المقاتلة

الطبيعية، وهذا المنشط الطبيعي يمكن أن يلعب دوراً هاماً في علاج مرض السرطان، والإيدز، وغيرها من الأمراض المرتبطة بقصور في جهاز المناعة، والأبحاث بينت من خلال إعطاء الحبة السوداء لمتطوعين عندهم نقص في الخلايا اللمفاوية المسؤولة عن مقاومة المرض من أنها زادت الخلايا اللمفاوية المساعدة في دم المتطوعين بنسب واضحة.

والمعروف أن الخلايا اللمفاوية هي المسؤولة عن زيادة المناعة في الجسم لمقاومة كل الآفات سرطانية أو عدوية أو حساسية، وجهاز المناعة هو خط الدفاع الرئيس في الجسم، لأنه مسئول عن محاربة الجراثيم والفيروسات والمواد الممرضة، بالإضافة إلى دوره في مقاومة السرطانيات". (٤٣)

٤- الأبحاث التي قام بها الدكتور محمد الدخايني، والدكتور محفوظ -المدرسان في كلية الطب، جامعة الإسكندرية- على الحبة السوداء، والتي استمرت خمس سنوات، وتمكنا من فصل زيت الحبة السوداء، المادة المؤثرة لعلاج الربو، وصنّعت شركة مصر للمستحضرات الطبية، على شكل نقاط وأقراص، وسميت المادة بـ "النيجلون"، وتمت تجربة الدواء عملياً على كثير من مرضى الربو الذين يعانون منه منذ عشر سنين، ويتناولون علاجاً كيميائياً، ويستعملون البخاخة، ولكنهم بعد استعمالهم الدواء المستخرج من الحبة السوداء تحرروا من هجمات الربو ومن الحاجة للدواء، كما ثبت من خلال التجارب والأبحاث أن هذا الزيت له فوائد ويمكن تركيبه في أدوية أخرى، ومن فوائده:

أ- يساعد على إفراز الصفراء، وهي مادة دهنية تفرزها المرارة تساعد على تحول الدهون التي في الجسم إلى مواد قابلة للهضم والامتصاص، كما تعمل على تخليص الجسم من سموم الأدوية.

ب- يساعد في إفراز حامض البولييك في الجسم، وهو مادة سامة يتخلص منها الجسم عن طريق البول.

ج- له تأثير مضاد للالتهابات.

وقد قُدمت هذه الأبحاث إلى المؤتمر الثاني عن الطب الإسلامي. (٤٤)

- ٥- ومما أثبت الطب الحديث من منافع وفوائد للحبة السوداء، ما يلي:
- أ- إنَّ نفل الحبة السوداء يخفض ضغط الدم. (٤٥)
- ب- إنَّها صادة لبعض الجراثيم. (٤٦)
- ج- إنَّ مادة الثيموهيدروكينون التي تم فصلها من الزيت الطيار للحبة السوداء، تستعمل ضد البكتيريا التي تسبب التعفن المعوي، كمادة مطهرة للفلورا المعوية. (٤٧)
- د- إنَّ الحبة السوداء تستعمل كطاردة لريح البطن، ومدرة لحليب المرضع، وعلاج السعال المزمن، والمغص الكلوي. (٤٨)
- هـ- زيتها مسكن ومقوي ومطهر وطارد للغازات ومدر للبول، ويستعمل في علاج الحكة وأمراض الصدر. (٤٩)
- ٦- قال الدكتور عبد الرزاق الكيلاني: إنَّ الحبة السوداء تقوي جهاز المناعة في الجسم فتقيه من كثير من الأمراض وتحميه من التصلب الشرياني، وتوسع الأوعية الدموية، وبالجملّة تنظم توازن أعضاء الجسم وتحميها من الاضطرابات والخلل. (٥٠)
- ٧- محاضرة الدكتور صلاح الدين كشريد، تونس، في المؤتمر العالمي الثالث للسيرة النبوية، قال فيها: "استعملت الحبة السوداء بنجاح كبير في تذويب حصى الكلية والمثانة ومرض اليرقان، فكانت تسحق وتعلق على الريق". (٥١)
- قلت: بعد هذا الكم الهائل من الأقوال العلمية والطبية القديمة والمعاصرة الحديثة التي ذكرناها، يزول التعارض ويتلاشى الإشكال وذلك لأنَّ الحبة السوداء هي شفاء ودواء من أغلب وأكثر الأمراض، وهذا ما سنوضحه في المناقشة والتوضيحات في المطلب القادم.

المطلب الثالث

مناقشات وتوجيهات الباحث في عموم الأحاديث

إنَّ العلماء الذين فسروا الأحاديث على عمومها وقالوا: إنَّ الحبة السوداء فيها شفاء من كل داء كما ورد لفظ الحديث ولم يخصصوا المعنى فهذا -من وجهة نظري- لا يتعارض مع العلم ولا العقل ولا المفهوم اللغوي والطبي للدواء والعلاج والشفاء به، إذا عرفنا ما يلي:

أ- إنَّ الأحاديث جاءت بصيغتين "إنَّ في الحَبَّة السَّوداء أو فيها" ولفظ "الحَبَّة السَّوداء" وهذا يعني: أنَّه يوجد فيها أو هي دواء وبرء من جميع الأمراض، ولكن هذا بكيفية يعلمها الله تعالى، قد نتعرف عليها وقد لا نتعرف لقصورنا نحن، ولكن هي بصورة إجمالية مجموع ما فيها بكيفياته واستعمالاته يصلح أن يقال: إنَّها شفاء من كل داء إلاَّ السَّام.

ب- إنَّ الحَبَّة السَّوداء دواء لكل داء، وفيها شفاء وبرء لكل الأمراض، ولكن هذا مبني على موافقة الدواء للداء، وهذا قدر زائد على مجرد وجود الدواء أو النفع والعلاج فيها، فللأدوية مقادير وأوقات محددة لتؤثر وتتفع، والخلل بشروط العلاج قد يضر ولا ينفع، وهو لا يكون عجزاً في الدواء وإنما في عدم الموافقة، وقد قال رسول الله ﷺ: "لكل داء دواء فإذا أصاب الدواء الداء برء بإذن الله" (٥٢).

ويؤيد هذا حديث آخر يبين أهمية الموافقة بين الداء والدواء، فقد ورد عن رسول الله ﷺ في حديث له عن أنواع من الأدوية فقال: "أو لذعة بنار توافق الداء" (٥٣). فإن جُرِّبَت الحَبَّة السَّوداء على مرض ولم تتفع، فلا يعتبر ذلك نفعاً لمعنى الأحاديث، لأنَّه ربما الكيفية والموافقة لم تقع لوقوع خلل في شرط من شروط نفع الدواء سواء كان ذلك في المريض أو الداء أو الدواء.

ج- إنَّ الحَبَّة السَّوداء دواء شاف لكل داء، لكن هذا مرتبط بإرادة الله تعالى، فالدواء وسيلة وسبب من أسباب الشفاء، ولكن ليس مستلزماً للشفاء أو هو الشفاء، فقد يكون الدواء فعلاً فيه النفع والبرء من المرض، وخصائصه توافقه، ولكن مشيئة الله وحكمته تمنع الانتفاع بهذا الدواء لحكمة يريد بها الله تعالى، ويؤيد الحديث السابق الذي ذكرناه في النقطة السابقة قوله: "بإذن الله".

د- إنَّ العلم والطَّبَّ القديم والحديث لم يستوعب ولم يستخدم كل الطرق والوسائل التي يمكن أن تستخدم فيها الحَبَّة السَّوداء لوحدها، أو مع غيرها، فلو فعل ذلك فحينها لا يُشكَّ أبداً بناءً على الحديث أنها ستكون شفاءً لكل داء بإذن الله.

هـ- ذكرنا في حديثنا عن الحَبَّة السَّوداء في الطَّبَّ الحديث أن لها تأثيراً على جهاز المناعة وتزيد في قوته، وتعطي الجسم أجساماً مناعيةً مسئولةً عن مقاومة المرض

والآفات مهما كان نوعها، وبناءً على هذا أقول: إنَّ جهاز المناعة هو المقاوم للمرض، وهو يمنع الجسم من الإصابة به، والحبة السوداء سبب في زيادة المقاومة وتنشط المناعة فكأنها دواء وشفاء لكل الأمراض، لأنها هي السبب في قوته "ونسبة الشيء إلى مسببه وسببه جائزة في اللغة العربية والعرف".

و- إنَّ العلم والأبحاث والتجارب الحديثة قد دلت على أنَّ الحبة السوداء تتأثر بالحرارة، وبعوامل أخرى، وتنفق بعضاً من صفاتها وخاصة زيتها الطيار.

وعلى هذا فهي شفاء من كل داء في طبيعتها وأصلها وكامل مكوناتها، وإن كانت لم تنفع في بعض الأمراض فقد يعود إلى أنَّها فقدت بعض مكوناتها، أو صفاتها بعوامل مختلفة، فلم تأت بالفائدة التي تأت بها لو لم تكن قد تعرضت لذلك والحديث النبوي ذكر الحبة السوداء كاملة.

ز- يقول الدكتور ربيع الظواهري -الأستاذ بكلية الطب، جامعة عين شمس-، في محاضرة له في المؤتمر الثالث والعشرين، الصيدلاني العالمي بمدينة مونستر في ألمانيا: "إنَّ ثقل الحبة السوداء يخفف الضغط" ثم قال: "وما يمكن أن يقال في المستقبل عن قشرة الحبة السوداء الأسود أو لبها الناصع البياض كل هذا يؤكد ولا يتعارض مع حديث رسول الله ﷺ من أنَّها شفاء من كل داء إلا الموت"، وكما قال الدكتور جمال الدين حسين أستاذ علم العقاقير في كلية الصيدلة، جامعة القاهرة: "إنَّ الذي يُستعمل من الحبة السوداء طيباً هو البذور الجافة وتتركب الحبة السوداء من زيوت عطرية وزيت ثابت ومواد حرة". (٥٤)

قلت: بناءً على هذا: إنَّ العلم والطبَّ الحديثين ركزا أبحاثهما على أجزاء معينة من الحبة السوداء، وخاصة الزيت الطيار كجزء مهم فيها، وكذلك القشرة أو النفل، ولم يركز على جميع مكوناتها، والعلم كل يوم في تطور فكما ازدادت التجارب ازدادت الفوائد المكتشفة، وكلما زادت المكونات المستعملة اكتشفت خصائص جديدة لها، فقد يأتي يوم وإذا بالعلم يخرج من الحبة السوداء أدوية علاجية لجميع الأمراض، وتصبح الحبة السوداء فيها دواء وعلاج وشفاء لكل داء كما في الحديث النبوي الشريف، وهذا ليس ببعيد.

ح- العلم والطب الحديثان لم يُقيّدا ولم يحصرنا فوائد الحبة السوداء في عدد معين من الفوائد، ثم لم يثبت قطعياً عدم نفعها في الأمراض الأخرى، لأنه أمر لا يمكن حصره عقلياً ولا علمياً، لأنه متوقف على التجارب والاكتشافات والكيفيات التي تستعمل فيها الحبة السوداء، ومبني على استيعاب كل صورة وطريقة وجزء يمكن أن تستخدم فيها الحبة السوداء، ولا أحد يقطع أنها لا تفيد في علاج كل الأمراض لأن الاكتشافات والأبحاث كل يوم تأتي بجديد، وبما لم تأت به سابقتها في نفس الموضوع. ولهذا فالحديث على عموميه والحبة السوداء شفاء من كل داء بالمعنيين، والإشكال زائل عن لفظ الحديث ومعناه، وذلك من ناحية اللغة والاكتشافات العلمية والطبية، والاستعمالات القديمة والحديثة.

الخاتمة والخلاصة:

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين وبعد: فلقد اكتمل بفضل الله وكرمه هذا البحث المتواضع المتعلق بالإشكال الوارد في أحاديث الحبة السوداء، ونستطيع أن نجمل خلاصة البحث من خلال المواضيع التي طرحناها، والنتائج التي توصلنا إليها فيما يلي:

١- ورد في السنة النبوية أحاديث صحيحة تتعلق بالحبة السوداء، وأنها شفاء من كل داء.

٢- الحبة السوداء فيها مكونات غذائية مهمة، وهي فريدة من نوعها، وهذا يدعونا إلى الاهتمام بها وإدخالها في طعامنا وأغذيتنا باستمرار للفوائد الطبية والغذائية الموجودة فيها.

٣- إن كلمة "شفاء" تطلق في اللغة العربية ويراد بها معنيان: الأول: دواء وعلاج، والثاني: البرء والتخلص من المرض.

٤- إن الأحاديث الواردة في الحبة السوداء على عمومها في المعنى لأسباب كثيرة وتوجيهات متعددة ذكرت في البحث، وأثبتها الطب والعلم.

٥- أثبت العلم والطب الحديثان أن الحبة السوداء تدخل كدواء وشفاء لأغلب أو أكثر الأمراض إن لم نقل كل الأمراض، ويمكن أن نلخص جوانب فوائدها فيما يلي:

أ- التقوية والوقاية: حيث ثبت أن الحبة السوداء مقوية للجسم من ناحية غذائية، وتحتوي على خلطة فريدة من العناصر الغذائية وهي السبب الأول في صحة الجسم ووقايته من الأمراض، وخاصة عنصر البروتين التي تحويه، فهو ضروري لبناء الخلايا، كما تقوم بتقوية جهاز المناعة عند الإنسان، مما يجعل مقاومة المرض في الجسم كبيرة، والحبة السوداء يمكن أن تستعمل كوقاية للأمراض الناتجة عن ضعف جهاز المناعة كالإيدز والسرطان.

ب- العلاج والدواء: حيث ثبت أنها تستعمل كدواء وعلاج لأغلب الأمراض، بل وأكثرها، بل لا يوجد عضو من أعضاء الجسم إلا وتدخل الحبة السوداء في علاج أمراضه سواء مفردة أو بخلطها مع غيرها.

ج- التخفيف والبرء: حيث رأينا من خلال البحث أن الحبة السوداء شفاء وبرء بإذن الله تعالى من كثير من الأمراض، وهذا ما أثبتته التجارب العلمية والعملية، كما ثبت فاعليتها في تخفيف الآم الولادة والمغص وغيرها.

٦- إن التعارض الظاهري والإشكال الوارد في لفظ الحديث والمتعلق بالحبة السوداء مع الواقع الطبي، يزول وينتفي بالرجوع إلى اللغة العربية وقواعدها، وكذلك بالتعرف على اكتشافات العلم للفوائد الموجودة في الحبة السوداء وكذلك معرفة شروط الدواء ونفعه.

٧- إن الدواء وإن تحقق علمياً أنه نافع ومفيد لأمراض معينة، فهذا النفع والفائدة متوقف على أسباب كثيرة منها ما يتعلق بالمرض، أو المريض، أو الدواء، ولا ننسى إرادة الله ومشيبته أولاً وآخرًا.

٨- سلك العلماء القدامى في إزالة إشكال المعنى الوارد في لفظ الأحاديث سبيل الجمع عن طريق حمل الألفاظ على التخصيص بأوجه كثيرة، وقالوا: إن المقصود الأكثر والأغلب وما يقابلها ويلائمها.

٩- سلك بعض العلماء في إزالة الأشكال الوارد في معنى لفظ الأحاديث سبيل الترجيح وأبقوا الأحاديث على عمومها، وقالوا: إن كلامه ﷺ أولى بالقبول ويقدم على قول أهل الطب لأن قولهم مبني على الظن.

١٠- أحاديث الرسول ﷺ والتي تتعلق بالطب تحتاج إلى العناية الفائقة من أصحاب الاختصاص، وخاصة الأطباء المسلمين لاكتشاف الأسرار النبوية، والمعجزات الطبية فيها.

هوامش البحث:

- (١) حديث صحيح، أخرجه أبو داود في السنن، كتاب العلم، ج ٣، ٣٥٦، حديث ٣٦٤٨، ط دار الكتاب العربي، بيروت، تعليق الألباني، أخرجه أحمد في المسند حديث ٦٤٧٤، وابن خزيمة في صحيحه رقم ٢١٣٢، والحاكم في المستدرک، ج ٣ ص ١٠٥.
- (٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الطب، باب الحبة السوداء، ج ٥، ٢١٥٤، حديث ٥٣٦٤، انظر: المطلب الأول من هذا البحث، الأحاديث الواردة في الحبة السوداء
- (٣) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الطب، باب الحبة السوداء، ج ٥، ٢١٥٤، حديث ٥٣٦٤
- (٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب التداوي بالعود الهندي، ج ٤، ١٧٣٥، ١٧٣٦، حديث ٢٢١٥⁴
- (٥) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح، كتاب الطب، باب ما جاء في الحبة السوداء، ج ٦/١٩٥، حديث ٢١١٤
- (٦) صحابي جليل وهو الذي سأله الرسول صلى الله عليه وسلم عن أكل لحم الحم الأهلية، فتح الباري، ج ١، ص ١٤٤
- (٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الحبة السوداء، ج ٥/٢١٥٣، حديث ٥٣٦٣
- (٨) أخرجه أحمد في المسند، ج ٥/٣٤٦، حديث ٢٢٩٨٨، ص ٣٥١، حديث ٢٢٠٢٢، ص ٣٥٤، حديث ٢٣٠٤٩
- (٩) أخرجه ابن ماجه في السنن، ج ٢/١١٤١، حديث ٣٤٤٨.
- (١٠) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح، كتاب الطب، باب ما جاء في الكمأة والعجوة، ج ٤/٤٠٢، حديث ٢٠٧٠.
- (١١) انظر: الطب النبوي لأبن القيم، ص ٢٢٩، والأعشاب والنباتات غذاء ودواء، محمد السيد أرناؤوط، ص ١٧٩، والطب النبوي والعلم الحديث د. محمد ناظم، ج ٣، ص ٢٥٦، والقاموس المحيط، فيروز أبادي، ج ٢، ص ١٨٥، ومعجزة الشفاء بالحبة السوداء لمرزوق علي إبراهيم، ص ١٣، ومجلة الدواء العربي، العدد الثاني، سنة ٨٩، ص ٢٨، وأنظر: شروح البخاري ومسلم وغيره في مواقع شرح الحديث
- (١٢) أنظر المراجع السابقة، والطب النبوي لعبد الملك بن حبيب الأندلسي، شرح د. محمد البار، ص ٢٧¹²

- (١٣) انظر المراجع السابقة، ومن خلال سؤال لأحد أساتذة التغذية في كلية الزراعة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن
- (١٤) وقد نقل هذا القول عن الخطابي عدة علماء في شروهم لصحيح البخاري ومسلم وغيرهما، ومنهم: القاضي عياض في إكمال إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج٧، ١١٨-١١٩، والكرماني في شرحه "الكواكب"، ج٢٠، ٢١١، والأبِّيَّ محمد بن خليفة في إكمال إكمال المعلم، ج٥، ٤٠٠-٤٠١، وابن حجر في فتح الباري، ج١٠، ١٤٤، والعيني في عمدة القاري، ج١٠، ١٥٧-١٥٨، والسنوسي في مكمال إكمال الإكمال، ج٥، ٤٠٠-٤٠١، والمباركفوري في تحفة الأحوذ، ج٦، ١٩٤، وغيرهم كثير. 14
- (١٥) وقال بهذا الرأي أبو بكر بن العربي في عارضة الأحوذ، ج٧، ١٩٥ ونقله عنه ابن حجر في فتح الباري، ج١٠، ١٤٤، فقال: "المراد بقوله في العسل "فيه شفاء للناس"، الأكثر والأغلب، فحمل في الحبة السوداء على ذلك أولى"، وذكر هذا التخصيص الأبِّي في إكمال المعلم، ج٥، ص ٤٠٠ و ٤٠١، بعد ذكره كلام الخطابي السابق.
- (١٦) سورة النمل، الآية ٢٣
- (١٧) سورة الأحقاف، الآية ٢٥
- (١٨) انظر: معجزة الشفاء بالحبة السوداء، ص٢٣ (مرجع سابق)، والطَّبُّ النَّبَوِي والعلم الحديث، ج٣، ص٥٦ (مرجع سابق)، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار، ج٣، ٧٢.
- (١٩) سورة القصص، الآية ٨٨
- (٢٠) سورة الأنعام الآية ١٠٢
- (٢١) وذكر هذا الرأي كذلك ابن العربي في عارضة الأحوذ ج٧، ص١٩٦، والقاضي عياض في إكمال إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج٧، ص٥٤٤، والكرماني في شرحه على صحيح البخاري (الكواكب) ج٢٠، ص٢١١، وابن حجر في فتح الباري ج١٠، ص١٤٣، والقسطلاني في إرشاد الساري ج٨، ص٣٦٥، والمباركفوري في التحفة ١٩٥/٦، وذكره صديق حسن خان القنوجي. في عون الباري الحل أدلة البخاري ج٥، ص٢٩٣
- (٢٢) انظر: معجزة الشفاء بالحبة السوداء، ص٢٣ (مرجع سابق)، والطَّبُّ النَّبَوِي والعلم الحديث، ج٣، ص٥٦ (مرجع سابق)، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج٣، ص٧٢. ١٥٧ (مرجع سابق)
- (٢٣) ابن حجر، فتح الباري، ج١٠، ص١٤٥، وذكره القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج٧، ص١١٨
- (٢٤) انظر: الطَّبُّ النَّبَوِي والعلم الحديث، ج٣، ص٥٧، ٥٨، ٢٥٧، ٢٥٨ (مرجع سابق)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج١٠، ص١٥٧.
- (٢٥) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ج٩، ص٣٩٧.

- (٢٦) الكرمانى، الكوكب الدراري شرح صحيح البخاري، ج ٢٠، ص ٢١١.
- (٢٧) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٠، ص ١٤٤ - ١٤٥، وقد ذكر القسطلاني هذا الرأي فنقل قول ابن أبي جمرة السابق وقول الكرمانى وهما في إفادة عموم الحديث، إرشاد الساري شرح صحيح البخاري ج ٨، ص ٣٦٥، ٣٦٦ (مرجع سابق)
- (٢٨) المباركفوري، التحفة، ج ٦، ص ١٩٤ - ١٩٥ (مرجع سابق).
- (٢٩) سورة النمل، الآية ٢٣
- (٣٠) سورة الاحقاف، الآية ٢٥
- (٣١) سورة العصر، الآيات (٢ ، ٣).
- (٣٢) القنوجي، صديق حسن، عون الباري لحل أدلة البخاري، ج ٥ ص ٢٣٩
- (٣٣) سورة الشعراء، الآية ٨٠.
- (٣٤) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج ٤، ص ٣٤٢.
- (٣٥) ابن منظور لسان العرب، ج ٤، صص ٤٣٦ - ٤٣٧.
- (٣٦) أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج ٣، ص ٣٤٥ - ٣٤٦.
- (٣٧) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٣، ص ١٩٩.
- (٣٨) قلت أنظر كذلك: ابن الأثير النهاية في غريب الحديث، ج ٢، ص ٤٨٨، والطَّبُّ النَّبَوِي والعلم الحديث، مرجع سابق ج ٣، ص ٤٥.
- (٣٩) انظر المطلب المذكور في هذا البحث.
- (٤٠) انظر: الطَّبُّ النَّبَوِي لعبد الملك بن حبيب الأندلسي، ص ٩٥ - ٩٩، و الطَّبُّ النَّبَوِي لابن القيم، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ والطَّبُّ النَّبَوِي والعلم الحديث لمحمد ناظم، ج ٣، ص ٢٦١ - ٢٦٣، ومعجزة الشفاء بالحبة السوداء لمرزوق إبراهيم، ص ٣١ - ٣٤ و ص ٦٣ - ٧١، والأعشاب والنباتات غذاء ودواء لمحمد السيد، ص ١٨٠ - ١٨٤، الجامع لمفردات الأغذية والأدوية لابن البيطار، ج ٣، ص ٧٢. 40
- (٤١) أحد أعضاء هيئة التدريس في الجامعة الأردنية، كلية الزراعة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، مقابلة شخصية
- (٤٢) مجلة دراسات، العدد الأول، كانون أول سنة ١٩٩٢ م، والعدد الثاني، نيسان، ١٩٩٢ م، بتصرف.
- (٤٣) أنظر: معجزة الشفاء بالحبة السوداء مرجع سابق، ص ٥٣ - ٥٦، ومجلة الدواء العربي، السنة الثانية، عدد ٢، عام ١٩٨٩ م، ص ٣٣.
- (44) أنظر: مجلة الدواء العربي، السنة الثامنة، عام ١٩٨٩، العدد (٢)، ص ٣٥ - ٣٦، والطَّبُّ النَّبَوِي لعبد الملك بن حبيب، شرح وتعليق د. محمد علي البار، ص ٩٦.

- (٤٥) أنظر: مجلة الدواء العربي، السنة الثامنة، العدد الثاني، عام ١٩٨٩ م، ص ٣٧، والطَّبُّ النَّبَوِي والعلم الحديث، ج ٣، ص ٢٦٥ .
- (٤٦) المصادر السابقة
- (٤٧) الأعشاب والنباتات غذاء ودواء مرجع سابق، ص ١٨٤.
- (٤٨) مجلة الدواء العربي مرجع سابق، العدد الثاني، ص ٣٦، والطَّبُّ النَّبَوِي والعلم الحديث، ج ٣، ص ٩٦.
- (٤٩) مجلة الدواء العربي مرجع سابق، العدد الثاني، ص ٣٨.
- (٥٠) الكيلاني عبدالرزاق، الحقائق الطَّيِّبَة في الإسلام، مؤسسة رسالة، عمان، الأردن، ص ٢٥٤.
- (٥١) مجلة الدواء العربي مرجع سابق العدد الثاني، ص ٣٨.
- (٥٢) صحيح مسلم، كتاب السلام، ج ١٤، ص ١٩١ (شرح النووي).
- (٥٣) صحيح البخاري، كتاب الطَّبِّ، ج ١٠، ص ١٣٩، حديث رقم (٥٦٨٣)، (فتح الباري).
- (٥٤) مجلة الدواء العربي، مرجع سابق، العدد الثاني ص ٣٧، والطَّبُّ النَّبَوِي والعلم الحديث مرجع سابق، ج ٣، ص ٢٦٥.

فهرس المصادر والمراجع:

- * - القرآن الكريم.
- ١- إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، ط دار صادر، بيروت.
- ٢- الأعشاب والنباتات غذاء ودواء، محمد السيد أرناؤوط، ط الدار المصرية اللبنانية.
- ٣- إكمال إكمال المعلم بفوائد مسلم، محمد بن خليفة الأبي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤- إكمال إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، ط دار الوفاء للطباعة، ١٩٩٨ م.
- ٥- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط دار الفكر.
- ٦- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، لابن البيطار، أبو محمد ضياء الدين عبد الله بن أحمد، طبعة مكتبة الإسكندرية.
- ٧- الحقائق الطَّيِّبَة في الإسلام، عبد الرزاق الكيلاني، ط مؤسسة الرسالة، عمان.
- ٨- سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٩- سنن أبي داود السجستاني، أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الفكر، ت محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء السنة النبوية.
- ١٠- سنن الدارقطني، الدارقطني، الحسين علي بن عمر، ط دار المعرفة، بيروت.

- ١١- السنن الكبرى للبيهقي، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، ط مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ.
- ١٢- سنن النسائي الكبرى، النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١ م.
- ١٣- شرح صحيح البخاري، ابن بطال، أبو محمد علي بن خلف بن بطال، مكتبة الرشيد، السعودية.
- ١٤- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.
- ١٥- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٨ م.
- ١٦- صحيح مسلم بشرح النووي، يحيى بن شرف النووي، ط دار أحياء التراث العربي.
- ١٧- الطب النبوي، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ط دار الفكر.
- ١٨- الطب النبوي، الإمام الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان دار مكتبة التريفة، بيروت.
- ١٩- الطب النبوي والعلم الحديث، د. محمد ناظم، ط الشركة المتحدة، سوريا.
- ٢٠- الطب النبوي، عبد الملك بن حبيب، شرح محمد علي البار، ط دار العلم والدار الشامية.
- ٢١- عارضة الأحوذى شرح صحيح الترمذي، أبوبكر بن العربي محمد بن عبد الله بن محمد، ط دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٢- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى، ط البابي الحلبي، مصر.
- ٢٣- عون الباري لحل أدلة البخاري، صديق حسن خان القنوجي، نشر دار الرشيد، حلب، سوريا.
- ٢٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد، الطبعة السلفية.
- ٢٥- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، المطبعة المنبرية ببولاق، مصر.
- ٢٦- الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري، الكرمانلي، شمس الدين محمد بن يوسف بن علي المطبعة الهندية المصرية، ١٩٢٧ م، المطبوعات الإسلامية.
- ٢٧- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، ط دار الفكر.
- ٢٨- قاموس الغذاء والدواء، أحمد قدامة، ط دار النفائس، ١٩٩٠ م.
- ٢٩- المستدرک، الحاكم النيسابوري أبو عبد الله محمد بن عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ.
- ٣٠- مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى، دار المأمون للتراث، دمشق، ط ١، ١٤٠٤ هـ.
- ٣١- مسند أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.

- ٣٢ - مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزار، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط١، ١٤٠٩ هـ.
- ٣٣ - مسند الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.
- ٣٤ - مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الرحيم محمد، مكتبة الرشيد، الرياض، ١٤٠٩ هـ.
- ٣٥ - المعجم الأوسط، الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، ط دار الحرمين، القاهرة، ١٤٠٥ هـ.
- ٣٦ - المعجم الكبير، الطبراني، ط مكتبة العلوم والحكمة، الموصل.
- ٣٧ - معجم متن اللغة، أحمد رضا، ط دار مكتبة الحياة.
- ٣٨ - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، ط دار الجيل.
- ٣٩ - معجزة الشفاء بالحبة السوداء، مرزوق علي إبراهيم، ط دار الفضيلة.
- ٤٠ - مكمال إكمال المعلم، السنوسي محمد بن محمد بن يوسف، ط دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤١ - النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، أبو الحسين علي بن محمد، ط دار الفكر.
- ٤٢ - مجلة الدواء العربي، مجلة تصدر عن اتحاد الصيادلة في عمان، الأردن، عدد ٢، سنة ١٩٨٩ م.
- ٤٣ - مجلة دراسات، مجلة تصدر عن الجامعة الأردنية في عمان، الأردن، العدد الأول، ١٩٩٢ م.